الصاعقة الحادية والثلاثون: أُحادٌ أمْ سُداسٌ في أُحادِ(*)

أُحـــادٌ أمْ سُـــداسٌ في أُحـــادِ ... لُـيَـــبلَتُنا المنُوطةُ بالتّنادي

كـــأنّ بَنات نَعْشٍ في دُجـــاها ... خَـرائدُ سـافـراتٌ في حِـدادِ(١)

أُفَكّرُ في مُـــعـــاقَـــرَةِ المَنايا ... وقَـودِ الخَيلِ مُشرِفَةَ الهَوادي(٢)

زَعِـــيمٌ لـلقَنا الخَطّيّ عَـــزمي ... بسَـفك دَمِ الخَواضِـرِ والبَـوادي

إلى كَمْ ذا التـــخلّفُ والتّـــواني ... وكَمْ هذا التّـمادي في التّـمادِي

وشُـغلُ النَّفسِ عن طَلَبِ المَعـالي ... ببَـيعِ الشّـعرِ في سوقِ الكَسادِ

ومـا مـاضي الشّـبـابِ بمُستَرَدٍّ ... ولا يَومٌ يَمُـــرّ بمُســـتَـــعـــادِ

متى لحظت بَياضَ الشَّيب عيني ... فـقـد وَجدَتهُ منهـا في السّوادِ

مـتى مـا ازدَدْتُ من بعـدِ التَّناهي ... فـقـد وقَعَ انتـقـاصي في ازديادي

أأرضى أن أعـــيشَ ولا أُكـــافي ... على مـــا للأمـــيـــرِ منَ الأيادي

جَـزى اللهُ المَسـيـرَ إليـه خَـيـرًا ... وإنْ تَـركَ المَطـايا كـــالمَزادِ

فَلَـمْ تَـلقَ ابـنَ إبـراهـيمَ عَنسي ... وفـيـهـا قُـوتُ يَومٍ للقُـرادِ(٣)

ألَم يَكُ بَينَنا بَلَدٌ بَعـيـدٌ ... فَصَيَّرَ طُولَهُ عَرضَ النِّجادِ(٤)

(*) مناسبة القصيدة: مدح علي بن إبراهيم التنوحي.

(١) بنات نعش: كواكب معروفة. الخرائد: جمع خريدة: المرأة الشابة.

(٢) الهوادي: الأعناق.

(٣) العنس: الناقة القوية. القراد: دويبة تتعلق بالبعير.

(٤) النجاد: حمّالة السيف.

وأبعَـدَ بُعـدَنا بُعـدَ التّـداني ... وقَـرَّبَ قُـربنا قُـربَ البِـعـادِ

فَلَمّـا جِـئـتُـهُ أعلى مَـحَلّي ... وأجلسني على السَّـبعِ الشِّـدادِ

تَهَلَّلَ قَـبلَ تَسليـمي علَيـهِ ... وأَلقى مـالَهُ قَـبْلَ الوِسـادِ

نَلُومُكَ يا عَليّ لغَـيـرِ ذَنبٍ ... لأنَّكَ قـد زَرَيتَ على العِـبـادِ[1]

وأنّكَ لا تَجُـودُ على جَـوادٍ ... هِبـاتُكَ أن يُلَقَّبَ بالجَـوادِ

كـأنّ سَـخـاءَكَ الإسـلامُ تَخـشى ... إذا مـا حُلتَ عـاقِـبَـةَ ارتِدادِ

كـأنّ الهـامَ في الهَـيـجـا عُـيُـونٌ ... وقـد طُبِـعت سُـيُـوفُكَ من رُقـادِ

وقـد صُـغتَ الأسِنَّةَ من هُمـومٍ ... فَـمـا يَخطُرنَ إلاّ في الفـؤادِ

ويَومَ جَلَبـتَـهـا شُـعثَ النّواصي ... مُـعَـقَّـدَةَ السّـبـاسبِ للطّرادِ[2]

وحـامَ بهـا الهـلاكُ على أُناسٍ ... لَهُم باللاّذِقـيَّـةِ بَغيُ عـادِ

فكانَ الغَـربُ بَحـرًا من مـيـاهٍ ... وكـانَ الشَّـرقُ بَحـرًا من جـيـادِ

وقـد خَـفَـقت لك الرّاياتُ فـيـهِ ... فَظَلَّ يَمُـوجُ بالبـيضِ الحِـدادِ

لَقُـوكَ بأكـبُـدِ الإبلِ الأبايا ... فـسُـقـتَـهمُ وحَـدُّ السَّـيفِ حـادِ

وقـد مـزَّقتَ ثَوبَ الغَيِّ عنهُمْ ... وقَـدْ ألبَـسـتَـهم ثَوبَ الرَّشـادِ

فَـمـا تَركُـوا الإمـارَةَ لاخـتِـيـارٍ ... ولا انتَـحَلُوا ودادَكَ من وِدادِ

ولا استَـفلُوا لزُهْدٍ في التَّـعـالي ... ولا انقـادوا سُـرُورًا بانقـيـادِ

---

(١) زريت: حقّرت.

(٢) الشعث: المغبرة. النواصي: جمع ناصية: شَعر مقدم الرأس. السباسب: شَعر الذَّنَب.

ولكن هَبّ خَوْفُكَ في حَشاهُمْ ... هُبُوبَ الرِّيحِ في رِجلِ الجَرادِ

وماتُوا قَبلَ مَوتهِمِ فَلَمّا ... مَننتَ أعَدتَهُمُ قَبلَ المعادِ

غَمَدتَ صَوارِمًا لَوْ لَمْ يَتُوبوا ... مَحَوتَهُمُ بِها مَحوَ المِدادِ

وما الغَضَبُ الطَّرِيفُ وإن تَقَوّى ... بِمُنتَصِفٍ مِنَ الكَرَمِ التِّلادِ

فَلا تَغْرُرْكَ ألسِنَةٌ مَوالٍ ... تُقَلِّبُهُنَّ أفئِدَةٌ أعادِي

وكُنْ كالمَوْتِ لا يَرثِي لِباكٍ ... بكَى منهُ ويَروَى وهوَ صادِ

فإنّ الجُرْحَ يَنفِرُ بعْدَ حينٍ ... إذا كانَ البِناءُ على فَسادِ

وإنّ الماءَ يَجري من جَمادٍ ... وإنّ النّارَ تَخرُجُ من زِنادِ

وكيفَ يَبيتُ مُضطَجِعًا جَبانٌ ... فَرَشْتَ لجَنبِهِ شَوكَ القَتادِ

يَرى في النّومِ رُمحَكَ في كُلاهُ ... ويَخشى أن يَراهُ في السُّهادِ

أشِرتُ أبا الحُسَينِ بمَدحِ قَومٍ ... نَزَلت بِهِم فَسِرتُ بِغَيرِ زادِ[1]

وظنّوني مَدَحتُهُمُ قَديمًا ... وأنتَ بِما مَدَحتُهُمُ مُرادِي

وإنّي عَنكَ بَعدَ غَدٍ لَغادٍ ... وقَلبِي عَنْ فِنائِكَ غَيرُ غادِ

مُحِبُّكَ حَيثُما اتَّجَهَت رِكابِي ... وضِيفُكَ حيثُ كنتُ من البِلادِ

(١) أشِرتَ: فرحت.